مآخذُ ابن مَعْقلٍ الأزديِّ البيانيَّة على شرح أبي اليُمن الكِنْديِّ ديوانَ المتنبِّي

– دراسة نقديَّة –

د. محمد حسن الشعير

دكتوراه في الدراسات النقديَّة والبلاغيَّة – جامعة حمص

الملخَّص:

سعى هذا البحث إلى دراسة المآخذ البيانيَّة لابن مَعْقل الأزديِّ المهلبي (ت644هـ) في كتابه (المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبِّي)، على شرح أبي اليُمن الكِنْديِّ (ت613هـ) ديوانَ المتنبي الموسوم بـ(الصَّفوة في معاني شعر المتنبِّي وشرحه).

بدأ البحث بمقدِّمة بيَّن فيها أهدافه وأهميته ومنهجه، ثمَّ عرَّف بابن مَعْقل وكتابه المآخذ، ثم بالكنديِّ وكتابه الصَّفوة، ثمَّ شرع بدرس المآخذ البيانيَّة لابن معقل الموجهة إلى هذا الكتاب، وهي مآخذ تناولت تأويل الصور البيانيَّة في شعر المتنبِّي، من تشبيهات واستعارات وكنايات. وقد ظهر من خلال البحث أنَّ ابن مَعْقل كان موفَّقًا في معظم تلك المآخذ، وأنَّ جهوده النقديَّة هذه ساعدت على الكشف عن كثير من جماليَّات الصورة عند أبي الطيب، وما تمتعت به من غنى وعمق في الدلالة.

كلمات مفتاحيَّة: ابن مَعْقل، أبو اليُمن الكِنْديّ، أبو الطيب المتنبِّي، المآخذ البيانيَّة.

Ibn Ma'qal al-Azdi's rhetorical criticisms

of Abu al-Yumn al-Kindi's Commentary on al-Mutanabbi's Diwan

- A Critical Study-

Dr. Muhammad Hassan Al-Sha'ir

PhD in Critical and Rhetorical Studies – University of Homs

Abstract:

This research aimed to study the rhetorical criticisms of Ibn Ma'qal al-Azdi al-Muhallabi (d. 644 AH) in his book "Al-Ma'akhidh 'ala Shurrāh Diwan Abi al-Tayyib al-Mutanabbi" (Criticisms of the Commentators on the Diwan of Abu al-Tayyib al-Mutanabbi), on the commentary of Abu al-Yumn al-Kindi (d. 613 AH) on al-Mutanabbi's Diwan entitled "Al-Safwa fi Ma'ani Shi'r al-Mutanabbi wa Sharhuh" (The Essence of the Meanings of al-Mutanabbi's Poetry and its Commentary).

The research began with an introduction clarifying its aims, importance, and methodology. It then introduced Ibn Ma'qal and his book "Al-Ma'akhidh," followed by an introduction to al-Kindi and his book "Al-Safwa." He then proceeded to study Ibn Ma'qal's rhetorical critiques of this book, critiques that addressed the interpretation of artistic imagery in al-Mutanabbi's poetry, including similes, metaphors, and metonymy. The research revealed that Ibn Ma'qal was successful in most of these critiques, and that his critical efforts helped to uncover much of the aesthetic beauty of Abu al-Tayyib's imagery, and the richness and depth of its meaning.

Keywords: Ibn Ma'qal, Abu al-Yumn al-Kindi, Abu al-Tayyib al-Mutanabbi, rhetorical critiques.

أوَّلًا – المقدِّمة:

نال ديوانُ أبي الطيّب المتنبّي (ت354هـــ) ما لم ينله ديوان شاعر آخر، مِن كَثْرة مؤلَّفات سعت إلى شرحه، وحلِّ مُشكله وعَويصه، يقول ابن خَلِّكان (ت681هـ): «واعتنى العلماءُ بديوانه فشرحوه، وقال لي أحدُ المشايخ الذين أخذتُ عنهم: "وقفتُ له على أكثر من أربعين شرحًا ما بين مطولات ومختصرات، ولم يُفعل هذا بديوان غيره"»[1]، ثم جاء ابن كَثير (ت774هـــ)، فذكر أنَّ لهذا الديوان «نحوًا من ستين شرحًا وجيزًا وبسيطًا»[2]، ولهذه الكَثْرة «قيل: إنَّ أسْيَرَ كتاب في الأرض ديوانُ المتنبِّي»[3]. ومن أشهر هذه الشُّروح: شرحا ابن جنِّي (ت392هـــ) الموسومان بالفَسْر والفَسْر الصغير، واللَّامع العزيزيُّ لأبي العلاء المعريِّ (ت449هـــ)، وشرح الواحدي (ت468هـ)، والمُوضِح للخطيب التبريزيِّ (ت502هـ)، والصَّفوة لأبي اليُمن الكِنْديِّ (ت613هـ)، والتبيان المنسوب خطأ لأبي البَقَاء العُكْبَريّ (ت616هـــ)، والنظام لابن المستوفي (ت633هـــ)، وغيرها شروح أخرى كثيرة.

هذا، ولأنَّ شعر أبي الطيِّب – في قسم كبير منه – إشكاليُّ الدلالة ويفتح باب التأويل، وقع اختلاف بين الشُّراح في تفسير معاني كثير من أشعاره، ممَّا أدَّى إلى ظهور مؤلَّفات في نقد هذه الشروح، سعى أصحابها إلى تصحيح ما وقع به الشُّراح من أخطاء في تأويل المعاني ونقدها، ويعدُّ كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي من أهمِّ هذه المؤلَّفات وأوسعها وأكبرها.

1- أهداف البحث وأهمّيّته:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مآخذ ابن معقل الأزدي على شرح أبي اليُمن الكندي للديوان، وهي مآخذ متنوعة، تشتمل على البلاغة واللغة والنحو وغير ذلك، وسيختصُّ بحثنا هذا بدراسة المآخذ البيانيَّة، تلك التي تناول فيها الأزديُّ شروحَ الكِنْديّ للأساليب البيانيَّة في شعر أبي الطيِّب، من تشبيه واستعارة وكناية.

(1) وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، د.ط، 1978م، 121/1.

(2) البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات بدار هجر– الرياض، ط1، 1418هـ، 256/11.

(3) الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان: ضياء الدين بن الأثير الكاتب، تحقيق محمد شرف، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، د.ط، 1958م، ص 4.

وللبحث في هذا الموضوع أهمّيّة تتأتَّى من أهمّيّة الكتاب موضوع الدراسة، بوصفه نموذجًا فريدًا من نماذج التأليف في التُّراث النقديِّ والبلاغيِّ، لم يتناول المؤلِّف فيه نصوص الشاعر على نحو مباشر، وإنَّما من خلال الشروح المبنيَّة عليها من قبل، فصحَّح وأضاف وقوَّم واستدرك. فالكتاب في ميدان نقد النقد، وهو جدير بالدراسة والتحليل والبحث، للإفادة من جهود صاحبه ومنهجه في النقد.

2- منهج البحث:

توسَّل البحث من أجل تحقيق أهدافه بالمنهج الوصفيِّ التحليليِّ، فقسَّم – بداية – المادة العلميَّة تبعًا للأساليب البيانيَّة المعروفة، ثمَّ درس مآخذ الأزديّ واصفًا ومحلِّلًا ومقوّمًا، مع الاستعانة بشروح الديوان الأخرى عند الحاجة إلى ذلك.

3- التعريف بابن مَعْقل وكتابه المآخذ:

ابن معقل هو أحمد بن علي بن الحسن بن معقل أبو العباس المهلبيّ الأزديّ، ولد بحمص وتوفي في دمشق سنة (644هـ). تتلمذ على يد ابن الدهان الموصلي في حمص، ثم رحل إلى بغداد وأخذ النحو فيها عن أبي البَقَاء العُكْبري، وفي دمشق قرأ على أبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي، صاحب كتاب الصَّفوة[1].

ويعدُّ كتاب المآخذ أهمَّ الكتب التي ألَّفها ابن معقل، بل هو العمل الوحيد الذي ألَّفه صاحبه لنقد شروح ديوان المتنبِّي، وقد سجَّل فيه ابن معقل مآخذه على أهم شرَّاح الديوان؛ ومنهم شيخه الكندي، يقول في مقدّمته: «والشروح التي تتبَّعتها، واستخرجتُ مآخذَها وجمعتها خمسة شروح: شرح ابن جنّي، شرح أبي العلاء المعريّ، شرح الواحديّ، شرح التبريزيّ، شرح الكنديّ، لأنَّ هذه المشهورة الدائرة في أيدي الناس»[2].

وقد بيَّن لنا ابنُ معقل في مقدِّمته سبب تأليف كتابه، وذلك للتنبيه على ما أغفله وأضلَّه شُرَّاح ديوان المتنبِّي من معاني شعره، كما وعد بأنَّه سيكون موضوعيًّا، ويتحرَّى الإنصاف والعدل،

(1) ينظر: الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1460هـ، 201/7.

(2) ينظر: كتاب المآخذ على شرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي: ابن معقل الأزدي المهلبي (644هـ)، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط2، 2003م، ص10/1.

قال: «فإنَّي لما رأيتُ ما حَظِي به أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبِّي من اعتناء الناس بشعره؛ العَالِم منهم والجاهل.. والتمثيلِ بأبياته الشوارد، والترتيلِ لآياتها في المشاهد.. وكثرةِ الشارحين لها من الفضلاء.. إلا أنَّهم قصَّروا في بعض المعاني فهدموا بها تلك المباني، وأشكلَ عليهم بعضُ الأبيات، فخفيتْ عنهم تلك الآيات، فرأيتُ أنْ أضعَ كتابًا مختصرًا يُنبِّه على ما أغفلوه، ويهدي إلى ما أضلُّوه، ويُبيِّن ما جهلوه، من غير أن أكون زَارِيًا عليهم أو مهدي اللَّوم إليهم»[1].

وأمَّا منهج الكتاب، فقد نهج ابن معقل في كتابه منهجًا فنيًّا واحدًا، فهو يورد البيت ثم يعرض شرح الشارح المخصوص بالمؤاخذة، ثم يبدي ردَّه مقدِّمًا له بعبارة: "وأقول" أو "فيقال له".

والملاحظ من خلال مراجعة كتب التراث النقديّ والبلاغيّ أنَّ كتاب ابن معقل هذا لم يتداول في أوساط العلماء، إذ لا يجد الباحث ذكرًا له أو نقولًا عنه أو شهادة فيه، والرَّاجح أنّ الكتاب لم ينل حظًّا في النَّسخ كغيره من الكتب حتى يشتهر، إلَّا أنَّ ذلك لا ينقص من قيمته العلميَّة، بوصفه عملًا نقديًّا مهمًّا، وقد وصفه محقِّقه عبد العزيز المانع بـ «العمل النقديّ الفريد الجليل»[2]، كما رأى هلال ناجي أنَّ «هذا الكتاب بمجموعه يمثِّل قمَّةً من قِمَمِ النقد الأدبيّ في بواكير القَرن السابع الهجريّ»[3].

4- التعريف بأبي اليُمن الكِنْدي وكتابه الصَّفوة:

هو زيد بن الحسن أبو اليُمن الكِنْدي النحوي اللغوي المحدث الحافظ، ولد ببغداد سنة عشرين وخمسمائة، وحَفِظ القرآن، قرأ العربيَّة على أكابر العلماء، منهم: ابن الشجري وابن الخشاب والجواليقي، قَدِمَ دمشق وازدحم عليه الطلبة، وكان صحيح السَّماع ثِقَةً في النقل، وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة[4].

وأمَّا كتابه الصَّفوة فهو من أهمِّ شروح ديوان المتنبِّي، وهو أيضًا من أهمِّ الكتب التي ألَّفها الكندي وسَلِمت من الضَّياع، وقد جاء في مجلدين، تناول فيه الكنديُّ شعر أبي الطيّب بالشرح

(1) المآخذ 9/1-10.

(2) المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، 7/1.

(3) مآخذ الأزدي على الكندي: ابن معقل المهلبي، تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد العراقية، ع3، 1977، ص174.

(4) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا، ص 570/1.

والدراسة والنقد، وقد أثنى عليه مجموعةٌ من العلماء، منهم الصفدي، حيث قال: «له مجلّد حواشٍ على ديوَان المتنبِّي يتضمّن لُغَة وإعرابًا وسرقاتٍ ومعاني ونكتًا وفوائدَ وسمَّاها الصَّفوة»[1].

ثانيًا – العرض والمناقشة والتحليل:

تنوَّعت مآخذ ابن معقل البيانيَّة على جهود الكندي في كتابه الصَّفوة، إلى مآخذ على شروحه للتشبيهات الواردة في شعر أبي الطيب، ومآخذ تخصُّ شرح الاستعارات، وأخرى تخصُّ الكنايات، وسنفصل القول في ذلك تباعًا:

1- **التشبيه**[2]:

معلوم أنَّ للتشبيه وظيفة بلاغيَّة مهمَّة تساعد على إنتاج المعاني والدلالات بطريقة فنّيّة لطيفة، ولذلك من الضروري أن يمتلكَ الشَّارحُ الذي يولِي نفسه مَهَمَّة شرح ديوان شاعر ما، المقدرةَ على الكشف عن التشبيهات التي ترد في أشعاره، وتحليل هذه التشبيهات ببيان طرفي الصورة ووجه الشبه وغرضه، وذلك حتى يتمكَّن من تجلية معانيه ومقاصده على أكمل وجه ممكن.

والمراجع لجهود ابن معقل في كتابه المآخذ عمومًا، ومآخذه على صَفوة الكندي على وجه الخصوص، يجد عنده عناية واضحة في تتبُّع التشبيهات التي لم يوفَّق الشُّراح في تحليلها، سواء أكان على صعيد بيان طرفي التشبيه ووجه الشبه، أو الغرض الذي عقد الشاعر تشبيهه لأجله، من ذلك التشبيه الوارد في قول أبي الطيب: [من الطويل]

تَلَجُّ جُفُوني بالبُكاءِ كأنَّما جُفُوني لِعَيْنَي كُلِّ باكِيَةٍ خَدُّ[3]

قال الكنديُّ: «**أي: لا تخلو جفونُه من بكاءٍ ودمع، كما لا تخلو الدُّنيا من باكيةٍ يجري**

(1) الوافي بالوفيات 33/15.

(2) التشبيه في الاصطلاح البلاغيِّ: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، لفظًا أو تقديرًا، لغرض يقصده المتكلّم. ينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ، ص 261. والمفصّل في علوم البلاغة: عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب – سورية، ط2، 1437هـ، ص 381.

(3) ديوان أبي الطيب المتنبي: تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، د ت، ص184.

دمعُها»[1]. وقد أنكر ابن معقل هذا التفسير، ووسمه بأنَّه «**ليس بشيء**»، وذهب إلى أنَّ المعنى المراد هو: «**وصفُ جُفونهِ بكَثْرةِ الدموع، يقول: كأنَّما يَفيضُ على جفوني من دموع عيني مثلما يَفيضُ على خدٍّ كلِّ باكيةٍ من دمعها**»[2].

فالاختلاف بين الشارحين وقع في فهم طرفي الصورة التشبيهيَّة والوجه الجامع بينهما، فعند الكندي المشبه (جفون الشاعر التي لا تخلو من بكاء)، والمشبه به هو (الدنيا التي لا تخلو من باكية)، ووجه الشبه (عدم الخلو من البكاء). وأمَّا عند ابن معقل فإنَّ الشاعر شبَّه (فيضان دموعه على جفونه) بـ(فيضان دموع كلِّ باكية)، ووجه الشبه المراد هو (كَثْرة الدموع).

ولا شكَّ أنَّ كلام ابن معقل أكثرُ دقَّة وقربًا إلى معنى بيت أبي الطيب منه عند الكنديَّ، فالشاعر يريد المبالغة في تصوير كَثْرة بكائه، وأنَّ بكاءه هذا دائمُ الجريان لا ينقطع، ونحسب أنَّه كان بالإمكان أن يقدِّم ابن معقل المعنى بعبارة أخرى أكثر وضوحًا وأقرب إلى المعنى، بأنَّ الشاعر شبَّه جفون عينيه بخدٍّ تسيل عليه دموعُ كلِّ باكية في الدنيا.

ومن التشبيهات التي فسَّرها الكندي واستوقفت ابن معقل كذلك، ما جاء في قول أبي الطيب: [من الكامل]

إنَّ السُّيوفَ مع الذين قُلوبُهم كَقُلوبِهِنَّ إذا الدَّقَى الجَمْعَانِ[3]

فقد استعار الشاعر للسيوف قلوبًا، ثمَّ شبَّه قلوب الفرسان بقلوب تلك السيوف في حال أرادت النصر، فالسَّيف إنَّما ينصُر من كان قلبُه كقلبِه في ساحات القتال. والخلاف هنا حول وجه الشَّبه الذي أراده الشاعر، أي بين المشبه قلوب المقاتلين والمشبه به قلوب السيوف، فقد ذهب الكنديُّ إلى أنَّ الشاعر أراد «**إنَّما ينفعُ السَّيفُ إذا كان قلبُ حاملِه كقلبِهِ في القتال؛ لا هذا يفزعُ ولا هذا**»[4]. فوجه الشبه هو عدم الفَزَع. أمَّا ابن معقل فقد وجد أنَّ هذا التفسير بعيدٌ عن الإصابة، وأنَّ للصورة الفنيَّة هذه وجهٌ آخر للشبه بين طرفيها، وهو المضاء – أي القطع – قال: «**أقولُ: لو**

(1) الصَّفوة في معاني شعر المتنبي وشرحه: أبو اليُمن الكندي، تحقيق عبد الله الفلاح، النادي الأدبي – الرياض، ط1، 1430هـ = 2009م، ص 399/1.

(2) المآخذ 38/4.

(3) ديوان أبي الطيب المتنبي 416.

(4) الصفوة في معاني شعر المتنبي 220/2.

قالَ: كقلبه في المَضَاء عند القتال لأصابَ وأجَادَ»[1].

وأرى أنَّ الوجه الذي قدَّمه ابن معقل (المضاء) أكثرُ إصابةً من الوجه الذي ذكره الكنديُّ؛ ذلك لأنَّ عدم الفَزَع ليس كافيًا لوحده حتى ينتصر المقاتل على عدوه، بل ينبغي أن يكون على قَدْرٍ عالٍ من القوَّة والصلابة في القتال حتى يتحقَّق له النصر. فكما أنَّ السيف يقطع من دون أن يشعر بشيء لأنَّه في أصله جامدٌ، فكذلك ينبغي أن يكون قلب المقاتل، يقطع في أعدائه دون أيِّ رحمة.

وفيما يخصُّ وجه الشبه – أيضًا– في بعض تشبيهات أبي الطيب، توقَّف ابن معقل عند كلام الكندي على قوله: [من الخفيف]

ليتَ أنَّا إذا ارتْحَلْتَ لكَ الخَيْـ ـــــلُ وأنَّا إذا نَزَلْتَ الخِيَامُ[2]

فقد شبَّه الشاعر نفسه تارة بالخيل وأخرى بالخيام، وذلك ليكون في خدمة الممدوح أثناء سفره، وقد أخذ بعض النقاد[3] على أبي الطيب تشبيه نفسه بالخيام في هذا المقام، وعدوا ذلك مخالفًا لآداب اللَّياقة في المدح، وذلك أنَّ الخيام تعلو صاحبها، ومن ثمَّ فإنَّ الصورة التشبيهيَّة هاهنا توحي بعلوِّ الشاعر على الممدوح.

وعندما تناول صاحب الصَّفوة البيت اكتفى بشرحه والإشارة إلى ما عِيب عليه: «**قال: تمنَّى أنْ يَقِيَهُ المشـــقَّةَ في رحيله والأذى في نُزوله. وعابَ عليه قومٌ هذا البيت، تعنُّتًا**»[4]. فالكندي من خلال هذا الشرح بيَّن أنَّ الشاعر يريد من تشبيه نفسه بالخيل أن يكون للممدوح عونًا في السَّفر، كما أنَّ الخيل تُعين صاحبها على مشقَّة الطريق وقطع المسافات البعيدة، وأنَّ الشاعر يريد من تشبيه نفسه بالخيام أن يحمي الممدوح من الأذى، من حرٍّ أو برد ونحو ذلك. وصحيح أنَّ الكندي أشار إلى أنَّ هناك من النقاد من انتقد الشاعر على هذا التشبيه، وأنكر هذا الانتقاد، إلا أنَّه لم يحرِّر المسألة، وهنا وجد ابن معقل ضرورة أن يوضح مراد الشاعر ويدفع العيب عن البيت، قال: «**أقول: إنَّ الذي أخذ عليه مِن أنَّ الخيامَ تعلُوه ليس بشيءٍ! لأنَّ تشبيهَ الشَّيءِ**

(1) المآخذ 61/4.

(2) ديوان أبي الطيب المتنبي 249.

(3) ينظر: سِرُّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982م، ص 262.

(4) الصفوة في معاني شعر المتنبي 514/1.

بالشَّـيءِ لا يلزمُ أنْ يكون مِنْ كلِّ وجهٍ حتى إذا تمنَّى أن يكون من الخيام، لِيَقِيَهُ، لزِمَ أن يكون فوقَه، وأن يكون في ظلِّه، وأن يكون سماءً له»[1].

ولا شـكَّ أنَّ ابن معقل قد وفَّق في دفع العيب عن البيت، وذلك بالاسـتناد إلى قاعدة كان النقاد والبلاغيون السابقون عليه قد قرَّروها وبسطوا القول عليها؛ في أنَّ تشبيه الشيء بالشيء إنَّما يكون في وجه أو أكثر من الوجوه، ذلك لأنَّ الشيئين إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما اختلاف البتة اتحدا، وصارا واحدًا[2].

ومن التشـبيهات التي تكلَّم عليها الكنديُّ وتعقَّبه فيها ابن معقل، وذلك بالاسـتعانة بجهود سابقيه من شُرَّاح الديوان، التشبيه الوارد في قول أبي الطيب يمدح عَضُد الدَّولة: [من المنسرح]

ودَارتِ الـنَّـيِّـراتُ فـي فَـلَـكٍ تَسْـجُـدُ أقْمَـارُهَـا لأبْهَـاهَـا[3]

فقد جاء عند الكندي في تفسـير البيت: «**قال: يريدُ بالنَّيِّرات ملوكَ الدُّنيا إذا اجتمعوا في زمنٍ واحدٍ... وأراد بـ"أبهاها" عَضُدَ الدَّولة**»[4]. وقد وجد ابن معقل أنَّ هذا الشرح لا يتَّفق مع التشبيه الذي عقده الشاعر ليعبِّر عن قوَّة الممدوح وشرفه ورفعته، وأنَّ جميع الجيوش والملوك في طاعته، وفي سبيل بيان ذلك استعان ابن معقل بشرح ابن جنّي للبيت، قال: «**أقول: قال الشيخُ أبو الفتح، وهو الصحيح: شبَّه الجيوشَ لمّا اختلطَ بعضُها ببعضٍ بفَلَكٍ تدور فيه نجومُه، وشبَّه ملوكَ الجيوش بالأقمار، وشبَّه عَضُدَ الدولة بالشَّمس لأنَّه أشرفُهم وأشهرهم، والهاءُ في أبهاها**

(1) المآخذ 44/4.

(2) من ذلك ما جاء عند أبي هلال العسكري، قال: «ويصحُّ تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد؛ مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر؛ وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوّهما ولا عظمهما؛ وإنّما شبهه بهما لمعنى يجمعهما وإياه وهو الحُسـن. وعلى هذا قول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَـآتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلامِ﴾ [الرحمن، 24]، إنَّما شبّه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيءُ الشيءَ من جميع جهاته لكان هو هو»، كتاب الصناعتين 239. وتابع العسكريَّ في بيان هذه الفكرة مجموعة من البلاغيين، وقد جمع آراءهم في هذه المسألة وحرَّرها عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، ينظر كتابه: علم البيان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، ص65.

(3) ديوان أبي الطيب المتنبي 555.

(4) الصفوة في معاني شعر المتنبي 490/2.

عائدةٌ على الأقمار. ومعنى "تسجدُ" تَذِلُّ وتخضع»[1]. وهذا الشرح شرح وافٍ، فصَّل في بيان التشبيهات التي احتواها البيت، وكشف عن المعاني التي أرادها الشاعر منها.

2 – الاستعارة[2]:

حَفِل شعر أبي الطيب المتنبِّي – كغيره من الشعراء – بالاستعارات بمختلف أنواعها، وهو أمر طبعي ذلك أنَّ الاستعارة تتصدَّر أبنية الكلام الإنساني عمومًا[3]، فهي تبعث في اللُّغة حيوية وطاقة، فضلًا عن أنَّها تكثِّف العبارة وتُحسِّن معرضها، وتفعل في نَفْسِ السَّامع ما لا تفعله الحقيقة بوصفها أسلوبًا يبعث على التأمُّل والتَّفكُّر[4].

وقد كان لابن معقل عناية بالكشف عن النشاط الجمالي للاستعارة وفاعليتها في إنتاج المعاني والدلالات في شعر أبي الطيب المتنبِّي، فتوقَّف عند الأبيات التي استعان فيها الشاعر بالصور الاستعاريّة لأداء معانيه وقصَّر الكندي في تجليتها، من ذلك قول أبي الطيب: [من الوافر]

كأنَّ نُجومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ وقَدْ حُذِيَتْ قَوائِمُهُ الجَبُوبَا[5]

شبَّه المتنبِّي في هذا البيت النجوم بالحلي يتزيَّن بها اللَّيل، ثمَّ استعار للَّيل قوائمَ، واستعار للقوائم حذاء هي الأرض. وعند هذا البيت اكتفى الكنديُّ بالقول: «**قال: الجَبوب: الأرض؛ جعلها قوائمَ للَّيل اتِّساعًا**»[6]، وهو ما دعا ابن معقل للتدخل وتصحيح طرفي الصورة التي أرادها الشاعر، وذلك على نحو وضَّح من خلاله ما للصورة من بعد جمالي ومعنى أراد الشاعر توصيله، قال مستدركًا: «**أقول: لم يجعلها قوائمَ، وإنَّما جعلها حذاءً لقوائمِ اللَّيلِ استعارةً وإشارةً**

(1) المآخذ 81/4. وينظر كلام ابن جني على البيت في: الفَسْر: ابن جني (392هـ)، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع – دمشق، ط1، 2004م. ص 766/3.

(2) الاستعارة في الاصطلاح البلاغيِّ: هي الكلمة المستعمَلة في غير معناها الوضعي لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي. ينظر: كتاب الصناعتين 268. والمفصّل في علوم البلاغة 484.

(3) الاستعارة في النقد الحديث – الأبعاد المعرفية والجمالية: يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997م، ص 11.

(4) ينظر: كتاب الصناعتين 268.

(5) ديوان أبي الطيب المتنبي 180.

(6) الصفوة في معاني شعر المتنبي 391/1.

إلى طُول اللَّيل وبُطئِهِ، وذلك حذاءٌ ثَقيلٌ لا يستطيع لابِسُهُ المشيَ به»[1].

ومن الاستعارات أيضًا، ما جاء في قول أبي الطيب: [من الطويل]

ثناهُمْ وَبَرْقُ البِيضِ في البَيضِ صَادِقٌ عليهِمْ، وبَرْقُ البَيضِ في البِيضِ خُلَّبُ[2]

البِيض: جمع أبيض وهو السَّـيف، والبَيض: جمع بيضـة وهو ما يلبس على الرأس من الحديد ونحوه. وقد قال الكندي في شـرحه: «**قال: صـادقٌ: أي مؤثِّـرٌ، وخُلَّبُ: لا أثرَ له. هذه تَبرقُ وتُسِيلُ الدِّماءَ، وهذه تَبرق ولا تُسِيلُ دمًا**»[3]. وقد تتبَّعه ابن معقل على سـبيل التفصـيل والتوضيح، فقال: «**أقول: وهذا الذي ذكره لا يتحصَّلُ به كثيرُ فائدةٍ! والمعنى: أنَّه استعارَ للبِيْضِ والبَيْضِ برقَينِ لصقالهما وصفائهما، وجعل برقَ البِيض في البَيْض صادقًا لتأثير السُّيوف فيها بالقَطْعِ ووصـولها إلى الرُّؤوس بإراقة الدِّماء. وجعل برقَ البَيْض في البِيض خُلَّبًا لكونها لم تؤثِّر في السُّـيوف بالرَّد والتَّثليم، لأنَّ برقَ البِيض إنَّما كان صـادقًا بتأثيرِ القَطع، وفي هذا وَصـفُ سُـيوف الممدوح بالمَضـاءِ وقوَّة الضَّـرب، ووصـفُ بيضِ أعدائه بعدمِ الغناءِ في ردِّ السُّيوف والوفاء**»[4].

والحقيقة أنَّ كلام الكندي لا يبعد عن كلام ابن معقل، إلَّا أنَّ الأوَّل أجمل وأوجز، وأمَّا ابن معقل فقد فصَّل في الاستعارتين وأبان ووفَّى الصورتين حقَّهما.

وفي مبحث الاسـتعارة أيضًـا، نجد ابن معقل يحرص على تأويل معنى الاسـتعارة بما يتناسب مع غرض القصيدة التي وردت فيها، وذلك حتى يصل إلى الدلالة الحقيقيَّة التي يُفترض أن يكون الشـاعر قد قصـدها، وفي هذا السـياق أخذ على الكندي أنَّه لم يراع في تأويل بعض استعارات أبي الطيب الغرضَ، فلم يصب تمام الإصابة في الكشف عن المعنى المراد، ففي تأويل معنى اسـتعارة أبي الطيب (يحيدُ الرُّمحُ عنك ويَقْصُـرُ)، في قوله يمدح سـيفَ الدَّولة الحمداني: [الوافر]

(1) المآخذ 37/4.
(2) ديوان أبي الطيب المتنبي 468.
(3) الصفوة في معاني شعر المتنبي 331.
(4) المآخذ 65/4.

يَحِيدُ الرُّمْحُ عنكَ وفيه قَصْدٌ ... ويَقْصُرُ أنْ يَنَالَ وفيه طُولُ[1]

قال الكندي في تأويله: «**مِنْ شرفك وسعادتك يميلُ الرُّمحُ عنك إلى غيرك، ويَقصُرُ مع طولِه أنْ ينالَكَ**»[2]. وقد آخذه ابنُ معقل على هذا التأويل، قال: «**أقول: لو قالَ: من شجاعتِكَ، وبأسِكَ، يحيدُ الرُّمحُ عنك وفيه قَصْدٌ؛ أي: استقامة لا لأنَّه معوجٌ، وكذلك يَقْصُرُ وفيه طولٌ ... لكان أولى من التَّعليل بالشَّرف والسعادة في هذا الموضع**»[3]. وهذه نظرة نقديَّة مصيبة من ابن معقل؛ يَظهر من خلالها وعيه ضرورة توجيه المعاني الشعريَّة على نحو يراعي الغرض الشعري؛ ذلك لأنَّه من تمام الإصابة للشاعر أن يصف ممدوحه – ولا سيَّما إذا كان أميرًا أو ملكًا – بمعاني الشجاعة والقوة والمهابة، أمَّا مجرد الوصف بالسَّعادة والشَّرف فذلك دون مقام الممدوح، وهو أمر كان النقاد والبلاغيون العرب قد أصَّلوا له في كثير من مؤلَّفاتهم[4]. هذا من جهة الغرض العام، ومن جهة سياق النص، فإنَّ سياق الحرب (الرِّماح) يتطلَّب الشجاعة والقوة، ويستدعي ذكرها أكثر من أيِّ قيمة أخرى من القيم التي تُمدح بها الرجال.

3- الكناية[5]:

تعدُّ الكناية أحد أهمِّ الأساليب البيانيَّة؛ ذلك لأنَّها تُلطِّف المعاني وتُخفيها فتحتاج من المتلقي إلى تأمُّل وتدبُّر. وهنا تتجلَّى وظيفة الشارح للشعر في الكشف عن الكنايات والمعاني المقصودة منها، لأنَّ عمله يتَّجه نحو التوضيح والكشف والبيان.

وعند قول أبي الطيب في وصف رحلته إلى بلاد فارس: [الوافر]

ولكنَّ الفَتَى العَربيَّ فيها ... غريبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسَانِ[6]

اختلف الشراح في تفسير ما في هذا البيت من كنايات، ولا سيَّما دلالة "غريب اليد"، فقد

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي 253.

(2) الصفوة في معاني شعر المتنبي 519/1.

(3) المآخذ 44/4.

(4) ينظر: نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (337هـ)، تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ص 96.

(5) الكناية في الاصطلاح البلاغيِّ: لفظ أريد به لازم معناه الوضعي، مع جواز إرادة ذلك المعنى مع لازمه. ينظر: كتاب الصناعتين 261. والمفصّل في علوم البلاغة 569.

(6) ديوان أبي الطيب المتنبي 557.

ذهب ابن جنّي إلى أنَّ «معنى غَريبُ اليَدِ: أنَّ سلاحَه السَّيفُ والرِّمحُ، وسلاحَ مَن بالشِّعب الحَربةُ والنيزكُ، ويجوز أن يُريد به الخطَّ، والأوَّل أقوى"[1]، أمَّا المعري فقد ذهب إلى أنَّ المقصود باليد يدُ الإنسان على الحقيقة، قال: «إنَّ العرب تُخالف العجم في خِلَقِها ولفظها؛ لأنَّ وجوههم بَيِّنةٌ من وجوه العرب، ولِحاهُم صُهْبٌ شُقْرٌ، وكان مرور أبي الطيب بالكُرد، وأيديهم لا تشبه أيدي العرب؛ لأنَّها غِلاظٌ جَعِدةٌ»[2]، في حين ذهب الكنديُّ إلى أنَّ «**غُربة اليد، هنا، عبارةٌ عن قِلَّة الانبساطِ إليهم؛ لأنَّها مظنَّة الأخذِ والعطاء**»[3]. وقد عرض ابن معقل لهذا البيت في سياق مآخذه على الكندي، وذكر مذاهب الشُّراح التي أثبتناها آنفًا، وقال: «**أقول: وعندي أنَّ غربةَ اليد كنايةٌ عن عدم فَهْمِ الكتابة، كمَّا أنَّ غُربةَ اللِّسانِ كنايةٌ عن عدم فَهْمِ اللُّغة، فاليدُ في هذه البلاد لا يُفهم منها ما تَكتب، كما أنَّ اللِّسان لا يُفهم منه ما يقول. وهذا هو المعنى الذي أراده أبو الطيب لمن تدبَّره بقلبه وأنصفَ بلسانه**»[4].

والملاحظ أنَّ ابن معقل كرَّر تأويل ابن جني في أنَّ المراد هو الاختلاف في الكتابة، وذلك بصياغة مختلفة، ونسب التأويل إلى نفسه دون الإشارة إلى أنَّه مسبوق من ابن جنّي، والذي نراه أنَّ بيت المتنبِّي مفتوح الدلالة ويحتمل كلَّ هذه الوجوه التي ذكرها الشُّراح، إلَّا أنَّ الوجه الراجح هو (اختلاف الكتابة)، وهو المناسب للسياق كما بيَّن ابن معقل.

ومن الكنايات التي وقف عليها الكندي واستوقفت ابن معقل أيضًا، ما جاء في قول المتنبِّي في قصيدة له في مدح سيف الدولة: [من الوافر]

ولَـوْ غَـيْـرُ الأمـيـرِ غَـزَا كِـلابًـا ثَنَاهُ عن شُـمُوسِـهِمُ ضَـبَابُ[5]

ففي هذا البيت أراد المتنبِّي تصوير شدَّة بأس سيف الدولة وقوَّة جيشه، وأنَّ الانتصارات

(1) الفسر الصغير: ابن جني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية– الرياض، ط1، 2007، ص201.

(2) اللامع العزيزي: أبو العلاء المعري (449هـ)، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية –الرياض، ط1، 2008م، ص 1429/3.

(3) الصفوة في معاني شعر المتنبي 497/2.

(4) المآخذ 82/4.

(5) ديوان أبي الطيب المتنبي 215.

التي يحقّقها على أعدائه ليس في مقدور أحد غيره أن يظفر بها. وعندما وقف الكنديُّ على هذا البيت فسَّر قول الشاعر: "ثناهُ عن شُموسهم ضَبابُ"، بأنَّه: «**كنَّى بالشُّموس عن النساء، وبالضَّباب عن المُحاماة عنهنَّ**»[1]، وأمَّا ابن معقل فقد رأى أنَّ الأحسن بيان الدلالة الدقيقة للكناية التي أرادها الشاعر بالضَّباب، وهي عجاج الخيل والفرسان، فقال في التعقيب على قول الكنديِّ: «**يُقال له: وأجودُ من هذا أنَّ يكون الضَّبابُ كنايةً عن عجاج الخيل بلقائه وهو أشبه بذلك، وفيه تَضَمُّنُ معنى المُحاماة**»[2].

ويظهر لنا من خلال مراجعة شروح ديوان المتنبِّي أنَّ ابن معقل مسبوق إلى هذا التفسير، فقد جاء عند ابن الأفليلي (ت441هـ) في سياق شرح هذا البيت: «يقول: ولو غير سيف الدَّولة غزا كلابًا؛ هذه القبيلة، لأَعياه أمرُهم، ولأفزعه بأسُهم، ولثناهُ عن الاستضاءة بشموس بلادهم عجاجُ كتائبهم»[3]، وسواء أكان ابن معقل قد اطَّلع على شرح ابن الأفليلي أو لم يطِّلع، فإنَّ في تعقيبه على كلام الكندي ما يشير إلى حرصه على الوصول إلى أدق الدلالات أثناء الشرح والتفسير.

والذي يبدو أنَّ ابن معقل قد وافق الكنديَّ على تفسير الشُّموس بالنساء، وهذا التفسير سبق الكنديَّ إليه مجموعةٌ من الشُّراح أيضًا، منهم المعريُّ والواحديُّ، ونحسب أنَّ توجيه المعنى على وَفْق ما ذهب إليه ابن الأفليلي في أنَّ الشاعر أراد "الاستضاءة بشموس بلادهم"، أليق وأحسن، من تفسيرها بالنساء، ذلك لأنَّ ذكر النساء في هذا السياق يشي بأنَّ الممدوح كان يستبيح نساء أعدائه، وليس في ذلك ما يتناسب مع مقام الممدوح وما ينبغي أن يكون عليه من شرف ورفعة، فالعرب كانت تمدح الرجال بالعفَّة إلى جانب الشجاعة، والإنصاف إلى جانب القوة والحزم[4].

ثالثًا – نتائج البحث:

يمكن لنا أن نخلص بعد هذه الدراسة، إلى النتائج الآتية:

(1) الصفوة في معاني شعر المتنبي 156/2.

(2) المآخذ 59/4.

(3) شرح شعر المتنبي: أبو القاسم ابن الأفليلي، حققه مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1992م، 240/2.

(4) لمزيد بيان حول معاني المدح الصحيحة الصائبة، التي كانت تمدح بها العربُ الرجال، ينظر: نقد الشعر 96، وكتاب الصناعتين 98.

1- تركَّزت مآخذ ابن معقل البيانيَّة على شرح أبي اليُمن الكندي ديوانَ أبي الطيب المتنبِّي، على تأويل الصور البيانيَّة من تشبيهات واستعارات وكنايات.

2- تنوَّعت مآخذ ابن معقل، فكان الكلام في قسم منها على طرفي الصورة البيانيَّة موضع الشاهد، وقسم تناول وجه الشبه، وآخر كان الكلام فيه على الغرض من الصورة.

3- تعدَّدت أغراض ابن معقل من مؤاخذاته وتعليقاته بين التخطئة والتصحيح، والاستدراك والتوسُّع، والإضافة إلى شروح الكندي والزيادة عليها. وقد وفَّق ابن معقل في مُجمل جهوده إلى تقديم إضافة متميّزة في بيان معاني قصائد أبي الطيب وتأويلها والكشف عن جماليَّات التصوير فيها، وما تمتَّعت به من غنى وثراء في المعنى.

4- اعتمد الأزديُّ في مؤاخذاته على ذوقه الخاصّ في التأويل والقراءة، كما أنَّه استعان في بعض المواضع بجهود غيره من الشُّراح، وأحسن توظيفها والاستفادة منها.

5- لم يكتف ابن معقل بتأويل معاني الشاعر وصوره البيانيَّة، بل وجَّه عنايته في بعض المواضع إلى دفع بعض الانتقادات عنها، وعلى العكس من ذلك، فهو في مواضع أخرى انتقد الشاعر وآخذه، وهو أمر لم يكن ضمن مجال دراستنا هذه، وجدير بأن يوصي البحثُ بدراسته، كي توضع آراء الأزديّ النقديَّة محلَّها من الحركة النقديَّة حول شعر أبي الطيب.

المصادر والمراجع

1) الاســـتدراك في الرد على رســـالة ابن الدهان: ضـــياء الدين بن الأثير الجزري الكاتب (ت637هـ)، تحقيق محمد شرف، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، د.ط، 1958م.
2) الاســـتعارة في النقد الحديث – الأبعاد المعرفية والجمالية: يوســـف أبو العدوس، الدار الأهلية للنشر والتوزيع – عمان، 1997م.
3) البداية والنهاية: ابن كثير (ت774هـــ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات بدار هجر– الرياض، ط1، 1418هـ.
4) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي (ت911هـــ)، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا.
5) سِرُّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (ت499هـــ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982م.
6) شرح شعر المتنبِّي: ابن الأفليلي (ت441هـ)، حققه مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1992م.
7) الصَّفوة في معاني شعر المتنبِّي وشرحه: أبو اليُمن الكندي (ت613هـ)، تحقيق عبد الله الفلاح، النادي الأدبي – الرياض، ط1، 1430هـ.
8) (كتاب) الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري (ت395هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.
9) علم البيان: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـــ)، دار النهضـة العربية للطباعة والنشـر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.
10) الفَسْـر الصـغير: ابن جني (ت392هـــ)، مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسـات الإسلامية– الرياض، ط1، 2007م.
11) الفَسْر: ابن جني، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع – دمشق، ط1، 2004م.
12) اللَّمع العزيزي: أبو العلاء المعري (ت449هـــ)، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية –الرياض، ط1، 2008م.
13) (كتاب) المآخذ على شـــرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبِّي: ابن معقل الأزدي المهلبي

(ت644هـ)، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط2، 2003م.

14) المفصّل في علوم البلاغة: عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب – سورية، ط2، 1437هـ.

15) نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت337هـ)، تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت.

16) الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي (ت764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1460هـ.

17) وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت681هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، د.ط، 1978م.